هوامش

استياء بين المصريين الذين تفاجأوا بقرار حكومتهم هدم قبة مستولدة محمد علي باشا التاريخية في مقابر الإمام الشافعي، وسط القاهرة، من أجل إنشاء جسر مروري

من مقابر أثرية دُمّرت لإنجاز مشروع الطريق الجديدة في القاهرة (خالد الدسوقي / فرانس برس)

مقابر الشافعي

«بلدوزرات السلطة» المصرية تدمّر قبّة تاريخية

القاهرة ـ **العربي الجديد**

ضجّت مواقع التواصل الاجتماعي في مصر بموجة غضب واسعة، إثر انتشار صور تظهر هدم قبة مستولدة محمد علي باشا التاريخية، في مقابر الإمام الشافعي في قلب القاهرة، لما تعكسه من قيمة معمارية تشكل جزءاً من التراث الثقافي للبلاد، من أجل إنشاء جسر مروري جديد يربط بين الطريق الدائري ومحور صلاح سالم.

قدم عضو مجلس النواب، رئيس حزب العدل عبد المنعم إمام، طلباً للحكومة يتساءل فيه عن إجراءات حماية التراث المعماري والتاريخي، وخطة وزارة السياحة والآثار لحماية المواقع التراثية والأثرية، مع استمرار هدم المقابر التاريخية في منطقتي الإمام الشافعي والسيدة نفيسة. قال إمام، في طلبه، إن قبة مستولدة محمد علي تمثل جزءاً مهماً من الهوية المصرية، وتحمل قيمة معمارية وأثرية لا تقدّر بثمن، ومع ذلك شرعت السلطات المختصة في هدمها، مضيفاً أن هدم المعالم الأثرية، ممثلة في مقابر القاهرة التاريخية، يشكل تهديداً للتراث والتاريخ المصريين.

نصت المادة الأولى من قانون حماية الآثار المصري رقم 117 لسنة 1983 على أن «يعتبر أثراً كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة، أو أحدثته الفنون والعلوم والآداب والأديان من عصر ما قبل التاريخ، وخلال العصور التاريخية المتعاقبة حتى ما قبل مئة عام، باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارات التي قامت على أرض مصر، أو كانت لها صلة تاريخية بها. وكذلك رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها». كذلك، تقدمت عضوة لجنة حقوق الإنسان في البرلمان، أمل سلامة، يوم الأربعاء الماضي، بعد هدم قبة مستولدة محمد علي باشا، بطلب إحاطة إلى وزراء السياحة والآثار والنقل والإسكان، بشأن إعادة النظر في خط سير بعض مشاريع الطرق التي تعترضها مبان أثرية، أو ذات طراز عمراني فريد، لمنع هدمها.

ذكرت سلامة أن تنفيذ محاور وجسور الطرق يصطدم ببعض المباني الأثرية، أو ذات الطراز العمراني الفريد، بما في ذلك المقابر التاريخية، التي تشرع السلطات حالياً في هدمها، ولعل آخرها قبة حليم باشا التاريخية التي تعرضت للهدم في منطقة السيدة عائشة. حذّرت سلامة من استمرار هدم مقابر القاهرة التاريخية، لما يثيره ذلك من غضب لدى المواطنين، خصوصاً أنها تعكس هوية الدولة المصرية، وتاريخها الحضاري الزاخر، مطالبة الحكومة بإعادة النظر في تخطيط المشروعات التي تمر داخل الكتل السكنية، وتحديداً التي توجد فيها مبان تراثية وتاريخية. كما علّق الممثل المصري خالد النبوي، الذي أدى دور البطولة في مسلسل «رسالة الإمام» عن قصة الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وأنتجته الشركة المتحدة المملوكة للمخابرات، العام الماضي، على هدم قبة حليم باشا، والد الأمير محمد عبد الحليم ابن محمد علي باشا، قائلاً عبر حسابه الشخصي على منصة إكس: «عمرها آلاف السنين، عاوزين تخلوا عمرها صفر ليه؟!».

كانت محافظة القاهرة قد أصدرت قراراً بتعليق عمليات دفن الموتى في اثنتين من أشهر مقابرها التاريخية تقعان في نطاق محور صلاح سالم المروري الجديد، وهما مقبرة الإمام الشافعي ومقبرة السيدة نفيسة، تمهيداً لإزالتهما. ونقل رفات المتوفين فيهما إلى مدافن التعويضات البديلة في مدينة العاشر من رمضان بمحافظة الشرقية. ودفعت احتجاجات شعبية الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى تأليف لجنة خبراء في يونيو/حزيران 2023، الهدف منها التوصل إلى رؤية متكاملة لتطوير المنطقة، ودراسة نقل المدافن الأثرية من السيدة نفيسة والإمام الشافعي، وتجميع رفات الرموز المصرية في ما يعرف باسم «حديقة الخالدين» بالعاصمة الإدارية الجديدة، وإنشاء متحف يضم القطع الفنية والأثرية الموجودة في تلك المدافن للحفاظ عليها.

إلا أن «بلدوزر السلطة» سرعان ما عاد لاستكمال دعس مقابر السيدة نفيسة والإمام الشافعي، ومنها مقبرة الشاعر الراحل محمود سامي البارودي، الشهير بـ«شاعر السيف والقلم»، التي تضم قطعاً رخامية منقوشاً عليها بماء الذهب، استوردت من إيطاليا قبل عقود طويلة، إلى جانب قطع نادرة من النحاس لها طابع تاريخي. سبق أن أزالت الجرافات حوش عتقاء الأمير إبراهيم حلمي الأثري الخاضع لإشراف وزارة الأوقاف المصرية، ومقبرة شاعر النيل حافظ إبراهيم، وغيرها من المقابر ذات الطابع التراثي والمعماري المتميز.

باختصار

دفعت احتجاجات شعبية الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى تأليف لجنة خبراء في يونيو/حزيران 2023، الهدف منها التوصل إلى رؤية متكاملة لتطوير المنطقة

■■■

سبق أن أزالت الجرافات حوش عتقاء الأمير إبراهيم حلمي الأثري الخاضع لإشراف وزارة الأوقاف المصرية، ومقبرة شاعر النيل حافظ إبراهيم

■■■

«بلدوزر السلطة» سرعان ما عاد لاستكمال دعس مقابر السيدة نفيسة والإمام الشافعي، ومنها مقبرة الشاعر الراحل محمود سامي البارودي

وأخيراً

عاش البنفسج مات...

رشا عمران

مرّت أمس ذكرى رحيل والدي، الشاعر السوري محمّد عمران، الذي انتقل إلى ضفّة الحياة الأخرى في 22 أكتوبر/ تشرين الأول 1996، عن 62 عاماً. ولمن لا يعرف محمّد عمران، فهو أحد أبرز شعراء الحداثة الشعرية العرب، ممّن أتوا بعد جيل الحداثة الأول. ينتمي شعرياً إلى مرحلة ستينيّات القرن الماضي. كتبَ قصيدةَ التفعيلة طوال حياته، لكنّه جرّبَ في أنواع الشعر كلّها، فكانت له مجموعتان في قصيدة النثر؛ «كتاب الملاجة» و«قصيدة الطين»، وكتبَ قصائد عدّة في الشعر العمودي. ترك 13 مجموعة شعرية، صدرت الأخيرة، «مديح من أهوى»، بعد وفاته، وكتابين نثريين في الشعر والحُبّ والحرب والحياة.

لا أتحدّث كثيراً عن والدي في مقالاتي، أو في الحوارات معي، ليس لأنّني غير مهتمّة، بل ربّما لفرط اهتمامي وحبّي له ولشعره. تقول أدبيات العرب: «كلّ فتاة بأبيها معجبة»، وكنت أكثر من معجبة به، ليس والداً قلّ مثيله في طباعه، بل شاعر أولاً. وربّما هذا الإعجاب والتعلّق هما ما جعلاني أتوارى عن الظهور في حياته، وجعلاني أُؤجّل موضوع نشر ما أكتب (أو التصريح) عنه إلى ما بعد وفاته، خشية ألّا ينال ما أكتبه رضاه، وخشية المقارنة به من أحد ما، وأنا كنت أعرف جيّداً (وما زلت) أن أيَّ مقارنةٍ لن تكون في صالحي ولا في صالح ما أكتب. رحل والدي من دون أن يعرف أنّني أكتب الشعر، ومن دون أن يقرأ لي حرفاً واحداً. أنا الآن نادمة جدّاً على ذلك. بالنسبة إليّ شاعرةً، حين أريد الحديث عن تجربة محمّد عمران الشعرية، يتّجه مزاجي الشعري مباشرة نحو كتبه الثلاثة الأخيرة: «نشيد البنفسج» و«كتاب المائدة» و«مديح من أهوى». هي المفضّلة عندي، أشعر بأنّه تخفّف فيها من الأيديولوجيا، التي ميّزت شعراء الستينيّات، وتخفّف من الرمزية لصالح جوهر اللغة وانسيالها. لغته الشعرية في أواخر حياته كانت كما لو أنّها نسغ ممتلئ بالرطوبة التي تمدّ نبتة الشعر بالحياة. لغته مائيةٌ، كما قال هو عنها في مقال نشر في مجلة العربي الكويتية، تحت عنوان «بوح الشعر»: «كلما أحسست جفافاً عدت إلى النبع، هناك تنتظرني لغتي، في الريحان والدفلى، في الحشائش وفي بياض الحصى، ينتظرني الماء الذي سيجري في لغتي». هذا الماء هو ما جعله يصل في الكتب الأخيرة إلى الشعر المصفّى، الشعر لأجل الشعر فقط، لأجل جوهر وكينونة الشعر. فيها أيضاً تخلّى عن نخبوية شعراء الستينيّات التي شكّلها فرط استخدام الرمز، وتحوّل شاعراً فقط، وأكاد أجزم بأنّ هذا كان أكثر ما يحلم به؛ أن يكون شاعراً من دون ألقاب أخرى، من دون أن يُحسَب على مدرسة ما أو اتجاه ما، أن يكون شاعراً حرّاً «لا سلطة عليّ سوى سلطة الشعر. أنا حرّ بمعنى أنّني لا أنتمي إلى مذهب أدبي أو فنّي أو أيديولوجي، أنا أنتمي إلى مذاهب الفنّ كلّها»، كما قال في المقال ذاته، الذي ليس بالصدفة، ربّما، أن يكون هو آخر مقال كتبه في حياته، كثّف فيه تجربته الشعرية والحياتية والثقافية. وربّما سأكتب في مقالات قادمة عن الرؤية والاستشراف الذي كان لديه في قصائده لما سيحدث في سورية، وفي الوطن العربي. إذ ثمّة نبوءة في قصائد ديوانه «أنا الذي رأيت»، تجعل من تلك القصائد تبدو راهنةً، كما لو أنه كان يرى فعلاً الهول الذي عاشت فيه سورية ما يزيد على عقد من الزمن، والموت الذي ينتقل من مكان إلى آخر في عاملنا العربي. هل الشاعر نبيٌّ أم متنبّئٌ أم راءٍ؟ ... هذا سؤال الشعر الأبدي، منذ أرسطو وحتّى الآن، سؤال لم يستطع شكل القصيدة وتطوّر الشعر واختلافه عبر الزمن أن يلغيه أو ينحّيه جانباً. تبقى باصرة الشاعر وبصيرة الشعر هي ما يميّز شاعراً من آخر، ويمايز قصيدةً من أخرى. الباصرة والحدس اللذان يجعلان الشاعر يرى ما لا يراه غير الشاعر: «من لم يمت بالسيف مات على الرصيف/ برصاصة، أو مات في إبط الرغيف/ أو مات في الإنقاض، أو تحت السياط/ أو مات تحت الأحذية/ عاش القرنفل مات/ الموت مفتوح الجهات».

> تبقى باصرة الشاعر وبصيرة الشعر هي ما يميّز شاعراً من آخر، ويمايز قصيدةً من أخرى

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**